(٤)

فضل الدعوة إلى الله تعالى وصفتها

تأليف

محمد بن عبد الله السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

فضل الدعوة إلى الله تعالى وصفتها

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، بعد :

فإن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أفضل الأعمال ، وأجل الطاعات ، وهي مهمة المرسلين ، الذين اصطفاهم الله تعالى ، واختارهم لدعوة الخلق إلى ربهم وهدايتهم إليه ، وبيان الطريق الموصل إلى الله وإلى جنته !!

فالله عز وجل يقول لنبيه الكريم محمد ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين ، وخاتم النبيين ﷺ : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] ، ويقول سبحانه : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وإن من أحسن الأعمال وأفضلها الدعوة إلى الله تعالى سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣] ، فهذه الآية الكريمة ترسم لنا صفة الداعي إلى الله ، وتبين لنا أن سلوك هذه الطريقة ، التي هي أحسن الطرق وأحبها إلى الله ، وأنفعها لعباد الله من الداعين والمدعوين ، كما أنها هي طريقة المرسلين، بل هي طريقة أفضل الرسل محمد ﷺ وناهيك بها طريقة ، فقد قال كثير من المفسرين : إن المراد بذلك هو رسول الله ﷺ ، وقال آخرون : هي عامة في كل من دعا إلى الله على هذه الكيفية .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره :

« ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ : أي دعا عباد الله ، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أي : وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، نفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بفعل الخير وترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى بذلك» اهـ.

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره :

« ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله، ثم استقام على الإيمان به ، والانتهاء إلى أمره ونهيه ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك ... ثم ساق سنده عن الحسن البصري لما تلا هذه الآية ، قال : هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب الخلق إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحًا في إجابته ، وقال إنني من المسلمين ، فهذا خليفة الله... وساق بسنده عن قتادة هذه الآية ، وقال : هذا عبد صدّق قولَه عملُه ، ومولجه مخرجه ، وسره علانيته ، وشاهده مغيبه ، وإن المنافق خالف قوله عمله ، ومولجه مخرجه ، وسره علانيته ، وشاهده مغيبه » اهـ .

فالداعي إلى الله تعالى لما صفت سريرته مع ربه ، واكتمل إيمانه به ، وقام بما وجب عليه من الإيمان والعمل ، صفت سريرته أيضًا مع الخلق ، فأحب لهم ما يحب لنفسه ، وأحب لإخوانه المؤمنين أن لا يراهم على ما

يخالف ما أمرهم الله به ، فأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر ، وأشفق عليهم كما يشفق على نفسه، كما جاء في الحديث المتفق عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » بل يحب لمن لم يؤمن أن يكون مؤمنًا ، فدعاه إلى الله ، ورغبه في الخير وعمل ما في وسعه في سبيل هدايته للإسلام ، وإلى صراط الله المستقيم ، عملاً بقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم».

وكما يعلم الجميع أن من أهم شروط الداعية الاستقامة بنفسه، وأن يكون قدوة للناس في أفعاله قبل أقواله ، فإن الاقتداء بالأفعال أبلغ من الأقوال ، ولا يخفى على الجميع أن الذين اعتنقوا الإسلام في كثير من شرقي آسيا وأواسط أفريقيا وغيرهما اعتنقوه رغبة ومحبة له ، حينما رأوا المسلمين الذين يفدون إليهم للبيع والشراء على جانب كبير من الوفاء ، والأمانة ، وحسن المعاملة ، وهؤلاء المسلمون لم يذهبوا من أجل الدعوة ، ولكنهم يضربون في الأرض ، يبتغون من فضل الله . لكن لما رأى الناس ما هم عليه من الصفات الحميدة، والوفاء بالوعود ، والعهود ، والصدق ، والإنصاف، والبر ، والإحسان ، أحبوهم وأحبوا ما هم عليه من الصفات ، وأخبرهم المسلمون أن ديننا يأمرنا بذلك ، فأحب أولئك هذا الدين ، واعتنقوه واغتبطوا به ، كما أن البلاد التي فتحها المسلمون الأولون من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ومن بعدهم دخل أهلها بعد ذلك في الإسلام رغبة ومحبة له ، ولأهله بسبب معاملتهم الحسنة ، والعدالة فيهم ، وعدم هضمهم شيئًا من حقوقهم .

فمن أنفع طرق الدعوة استقامة الداعي واتصافه بما يأمر به واجتنابه ما ينهى عنه ، أما من خالف قوله فعله ، فهذا لا يقبل منه وعظه وتذكيره ، بل ربما كان محل سخرية للناس ، وسببًا لوقوعهم في عرضه ، وقديمًا قيل :

وغير تقي يأمر النـــاس بالتقى   طبيب يداوي الناس وهو سقيم

والله سبحانه وتعالى نهى عن هذا الوصف وعابه ومقت أهله عليه ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢-٣] ، وقال سبحانه : ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] ، فليس من العقل أن ينصح الإنسان غيره ، ويهمل نفسه ؛ فمن وعظ غيره ولم يتعظ فكأنه أتى بما لا يقبله العقل السليم ، هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فيكفي ما رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

ومما ينبغي للداعي أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على ما يلاقيه من صعوبات في سبيل الدعوة ، فإن الحلم والصبر والاستمرار على الدعوة من أنفع الأمور على تحصيل المقصود ، فما نجح من نجح في دعوته إلى الله إلا بهذا ، والكل يعرف صبر الأنبياء والمرسلين في دعوتهم لقومهم ، لا سيما أفضل الخلق محمد ﷺ ، وكذلك من سار على نهجه من سائر الدعاة

والمصلحين .

وإن المسؤولية على الداعي تعظم وتخف على اختلاف أحوال الداعي وأحوال المدعو .

أما أحوال الداعي فقد يكون لديه من الحجة والبيان والبلاغة ما يستطيع أن يقنع به أغلب المدعوين ، ما عدا المعاند منهم ، فهذا لا حيلة ولا مطمع فيه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١] . وقد يكون الداعي مع قوة استعداده في الإقناع له مكانه بين قومه ، وبني جنسه ، وفي محيط دعوته ، فهذا عليه من الواجب أكثر ممن هو دونه في تلك الصفات، وهكذا كلما كان أقدر على الدعوة كانت المسئولية عليه أعظم ، ولا يعني هذا أن من نقصت قدرته يتخلى أو يقول : فيه من هو أقدر مني ، فيترك الدعوة، فإنه قد يكون الأضعف درجة في هذا الباب أنفع من غيره؛ لوجود صفات أخرى فيه ، مثل المواظبة والمثابرة على الدعوة، والتحمل والصبر ، وعدم السآمة والملل . فكم من دعاة قد جعل الله لهم تأثيرًا كبيرًا ، ونفعًا عظيمًا في مجال الدعوة ، واهتدى على أيديهم فئام من الناس بسبب تواضعهم وصبرهم ومثابرتهم ، كما قال بعضهم في الحرص على طلب العلم ، وفائدة المثابرة عليه ، وعدم الملل:

اطلب العلم ولا تضجرا ... فما لطالب العلم أن يضجرا

ألم تر إلى الحبل بتكراره ... في الصخرة الصماء قد أثرا

فالشاعر يصف الحبل الذي هو أحد أدوات السقي بكثرة مروره على

حافة البئر ، قد أثر في تلك الصخرة الصلبة ، بسبب كثرة مروره عليها ، مع أنه حبل لين ، وهذه صخرة صلدة ، فهذا مثل لبيان فائدة المثابرة والاستمرارية في تحصيل المقصود ، فالاستمرار على الدعوة والمثابرة عليها ، وعدم السآمة والملل ، من أقوى أسباب تأثيرها ونفعها .

وقال آخر :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجـا

وإن من أكبر العون على الصبر والتحمل والمثابرة ، صدق النية ، والإخلاص ، واستحضار الثواب المترتب على ذلك ، وكذا التأسي بأنبياء الله ورسله ، والتذكر لسيرتهم ، وما كانوا يقومون به ويعانونه من الصبر وتحمل الأذى في هذا السبيل ، ولهذا يذكرنا القرآن بذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٦] .

ويأمرنا سبحانه بالتأسي والاقتداء بهم ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الممتحنة :٤] ، ويقول سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وكذلك التأسي بفعل الأنبياء والسلف الصالح من هذه الأمة من الصحابة وغيرهم ، فإذا ذكر المسلم ما مر على نبي الله إبراهيم خليل الرحمن، وعلى موسى كليم الرحمن ، وعلى محمد رفيع المقام ، عليهم من الله

أفضل الصلاة والسلام . فهذا يقذفه قومه في النار من أجل دعوته إلى توحيد الله ، وينجيه الله منها ، وهذا يضطره عدوه إلى البحر ، فيجعل الله له مخرجًا ، ويهلك عدوه . ومحمد ﷺ الكل يعرف سيرته ، وماذا حصل عليه من أجل الدعوة إلى الله ، يضع أعداؤه سلى الجزور على ظهره وهو ساجد في حرم الله ، ويوضع الشوك في طريقه ، ويرمى القذر في طريقه ، وما حصل عليه يوم الطائف ، وما لاقاه يوم أحد ، فكانت حياته ﷺ في جهاد وفي صراع مع أعداء الإسلام ، كما كان في مكة بين المشركين وكم ضايقوه وضيقوا عليه ، وفي المدينة كان برهة من الزمن بين اليهود يتربصون به الدوائر ، وكم حاولوا إيقاع الأذى به ، وحاولوا قتله مرارًا بأنواع المكر والحيل ، ولكن الله سلم وأهلك عدوه ، وكما كان ﷺ بين المنافقين يتربصون به ، ويثيرون الفتن ، ويتحينون الفرص لتفريق الكلمة ، وتشتيت الشمل ، ويعملون أسباب الفشل في بعض الغزوات ، وكم هموا بما لم ينالوا وهو ﷺ في كل هذا صابر مجاهد حتى لحق بالرفيق الأعلى .

وهؤلاء أصحابه من المهاجرين والأنصار كم بذلوا نفوسهم وأموالهم وكم هجروا أهلهم وراحتهم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، فهذا أبو بكر رضي الله عنه ماذا لقيه من المشركين ، حينما كان يمارس شعائر دينه ، ويدافع عن رسول الله ﷺ ، ويقيه بنفسه ، وكيف كان يدعو إلى دين الله وتوحيده بمكة . دخل في الإسلام بسبب دعوته أعيان المهاجرين الأولين ، ثم كل من هؤلاء قد قام بدور كبير في جهاد أعداء الله تعالى بالسيف وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وكيف كانت نتيجة دعوته ، لقد كان منها إسلام سعد

ابن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وقومهما ، ودخل قـومهما في ديـن الله أفواجًا ، فانظر إلى هذا الداعية المبارك ، وهذه الدعوة المؤثرة التي كانـت سببًا لإسلام جل أهل المدينة .

تذكر كيـف كـان أصـحاب رسـول الله ﷺ يتسـابقون ويتنافسـون في المسارعة إلى أعمال الخير ، والـدعوة والجهـاد في سـبيل الله ، وكيـف كانـت حالة الذين تأخر إسلامهم ، وكيف كان ندمهم وأسفهم على ما فـاتهم مـن قدم الصحبة ، والمشاركة الكريمـة مـع الرسـول ﷺ . لقـد كـانوا يقومـون بأعمال جليلة ، بذلون أنفسهم وأمـوالهم ، ويرتحلـون بـأهليهم إلى الثغـور ، ومواطن الجهاد والدعوة ، لعلهم يلحقون بسلفهم ، ويعوضـون مـا فـاتهم من قدم الإسلام والصحبة.

فهذا الحارث بن هشام رضي الله عنه يروي لنا أهل السـير والـتراجم كيفية خروجه بعد وفاة الرسول ﷺ بنفسه وأهله ومالـه . فيقـول ابـن عبـد البر رحمه الله في الاستيعاب : خرج الحارث بن هشام من مكـة فجـزع أهـل مكة جزعًا شديدًا فلم يبق أحد يطعم إلا خـرج معـه يشـيعه حتـى إذا كـان بأعلى البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك وقف ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأى جزع الناس قال: « أيها الناس إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم ولا اختيار بلد عن بلدكم ، ولكن كـان هـذا الأمـر فخرجـت فيـه رجال من قريش ، والله ما كانوا من ذوي أنسـابها ولا في بيوتاتهـا فأصـبحنا والله ، ولو أن جبال مكة ذهبًـا أنفقناهـا في سـبيل الله مـا أدركنـا يومًـا مـن أيامهم ، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخـرة فـاتقى

الله امرؤ فعل » .

فتوجه رضي الله عنه إلى الشام واتبعه ثقله فأصيب شهيدًا ، وقد كان من شجاعته وهو يحمل على الكفار يرتجز بقوله :

إني بربي والنبي مؤمـــن   والبعث من بعد الممات موقن

أقبح بشخص للحياة موطن

وكان رضي الله عنه يضرب به المثل في كرمه وسؤدده ومكانته بين الناس ، وقد قال الشاعر :

أظننت أن أباك يوم تسبني   في المجد كان الحارث بن هشام

أولى قريش بالمكارم والندى   في الجاهلية كان والإســـلام

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ مع ما منَّ الله عليهم به من فضل الصحبة والمكانة العالية ، كانوا يتسابقون ويتنافسون في الدعوة إلى الله ، وفي طلب الشهادة والدار الآخرة ، فينبغي أن يكون لنا بهم أسوة ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، رضي الله عنهم وأرضاهم، ومنَّ علينا جميعًا بالاقتداء والتأسي بهم.

ولا يخفى على الجميع طريقة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وسر نجاح دعوته ، وهو صبره وصدقه ، ثم بسبب ذلك هيأ الله له الإمام محمد بن سعود ؛ ليشد عضده ويناصره ، حتى وصلت دعوته إلى ما هو معلوم الآن للجميع ، فالصبر أساس لكل عمل ، ولذلك ذكره الله في

القرآن في أكثر من تسعين موضعًا : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٧-١٢٨] .

وما أحوج الداعي إلى الصبر وإلى الحلم والعلم ، فكمال العلم بالحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب ، فيستطيع بحلمه وحسن أسلوبه أن يعالج أمراض النفوس ، وهو هادئ البال ، مطمئن الضمير،لا يستفزه الغضب ، ولا يستثيره الحمق ، فتنفر منه القلوب ، وتشمئز النفوس ، فلا يقبل منه ، وحسبنا قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ومن الأمور الأساسية للدعوة: أن يكون الداعي إلى الله على بصيرة تامة بما يدعو إليه ، ولا يتكلف القول بما لم يحط به علمًا ، وأن يكون على جانب من الورع ، بحيث إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستنكف من ذلك ، فإن أعلم الخلق ﷺ كثيرًا ما يسأل ، ويرجئ الجواب حتى يأتيه جبريل بالجواب من عند الله ، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يتدافعون الفتوى ، وأئمة الإسلام أجابوا في أحوال كثيرة بلا أدري ، منهم الإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم كثير ، فالداعية عندما يسأل عن شيء ، ولا يستحضر الحكم فيه ؛ ينبغي أن يؤخر الجواب حتى يراجع أقوال العلماء ، أو يبحث مع إخوانه في ذلك ؛ ليكون على بصيرة من دعوته ومن فتواه ، وأن تكون نيته وقصده خالصًا لوجه الله ، لا يقصد بذلك رياء ولا سمعة ولا ثناء من الناس، وينبغي أن تكون هذه الآية دوامًا في ذهنه ﴿ قُلْ

﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، فيكون على بصيرة بما يدعو إليه وعلى بصيرة في طريق الدعوة ، وكيف يوصلها إلى المدعو بأسلوب مقنع ، يتصيد فيها قلوب المدعوين ، فإن كثيرًا من المدعوين لا توجد عندهم الرغبة التامة في قبول الحق، ولكن بالمعالجة الحكيمة والأسلوب المقنع قد يحصل المقصود، والقرآن الكريم يرشد إلى ذلك في قوله سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل :١٢٥] ، ويقول عز وجل : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

ونختم هذه الرسالة بجملة من الأحاديث النبوية وبعض أقوال السلف الصالح في بيان كيفية الدعوة إلى الله تعالى ؛ لتكون منهجًا وطريقًا يهتدي به الداعية في دعوته إلى الله ، ولتكون دعوته على بصيرة امتثالاً لأمر الله تعالى ، وقد جمعتها من كتب أهل العلم الناصحين لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، نسأل الله أن ينفع بها ويجعلها عونًا لنا على حسن الدعوة إلى الله ، فمن هذه الأحاديث :

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم

السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم.

٢ – وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة . رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وحسنه .

٣ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » رواه مسلم .

٤ – وعن دخين أبي الهيثم ، كاتب عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : قلت لعقبة بن عامر : إن لنا جيرانًا يشربون الخمر ، وأنا داع الشرط ليأخذوهم ، فقال عقبة : ويحك ، لا تفعل ، ولكن عظهم وهددهم ، قال : إني نهيتهم ، فلم ينتهوا ، وإني داع الشرط ليأخذوهم ، فقال عقبة : ويحك ، لا تفعل ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « من ستر عورة مؤمن ، فكأنما استحيى موءودة في قبرها » رواه أبو داود والنسائي بذكر القصة وبدونها، وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

٥ – وعن يزيد بن نعيم عن أبيه « أن ماعزًا أتى النبي ﷺ فأقر عنده أربع مرات فأمر برجمه ، وقال لهزال : لو سترته بثوبك كان خيرًا لك » رواه أبو داود والنسائي .

٦ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته » رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

٧ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » .

قال : ونظر ابن عمر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال : «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» . رواه الترمذي.

٨ – وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم ، أو كدت تفسدهم » . رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه .

٩ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أعرابي فبال في المسجد ، فقام إليه الناس ليقعوا به فقال النبي ﷺ : « دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء – أو ذنوبًا من ماء– فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » رواه الجماعة إلا مسلمًا .

١٠ – وعن أنس بن مالك قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله

ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه !! قال : فقال رسول الله ﷺ : « لا تزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه ، ثم قال : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ . قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه . متفق عليه .

١١ – وعن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه ، ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ، قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ، أو كما قال رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

فهذه الأحاديث كلها عن النبي ﷺ تبين لنا المنهج الشرعي في الدعوة إلى الله تعالى .

وإن مما يحسن بالداعي معرفته المنهج الصحيح في الفتيا ، والتحذير من القول على الله بغير علم ، وقد جاء في ذلك عن السلف أقوال كثيرة ، نذكر بعضها منها ، فمن ذلك :

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : من كان عنده علم فليعلمه

الناس ، وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له به علم ، فيكون من المتكلفين ويمرق من الدين .

وقال السفاريني رحمه الله : وإن دعا الإمام -أي السلطان الأعظم- العامة إلى شيء ، وأشكل عليهم ، سألوا أهل العلم ، فإن أفتوهم بوجوبه ، قاموا به ، وإن أخبروهم بتحريمه، امتنعوا منه، وإن قالوا : مختلف فيه ، وقال السلطان : يجب ، لزمهم طاعته ، كما يجب طاعته في الحكم . ذكره القاضي .

وقال الإمام ابن عقيل رحمه الله في معتقده : ومن لم يعلم أن الفعل الواقع من أخيه المسلم جائز شرعًا أم غير جائز،فلا يحل له أن يأمر أو ينهى. وكذا ذكره القاضي . وقد روي هذا عن الإمام أحمد رحمه الله .

وقال الإمام أحمد في رواية المروذي : لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ، ولا يشدد عليهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٢/ ٢٥٤) :

«وجمهور المتعصبين لا يعرفون من الكتاب والسنة إلا ما شاء الله، بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو آراء فاسدة ، أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ ، قد تكون صدقًا ، وقد تكون كذبًا ، وإن كانت صدقًا فليس صاحبها معصومًا ، يتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ، ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم ، وهو ما نقله الثقات الأثبات من أهل العلم ، ودونوه في الكتب الصحاح عن النبي ﷺ » اهـ.

وقـال رحمـه الله في الفتـاوى (٢٢/ ٣٥٧) لمـا ذكـر ذم الاخـتلاف والتنازع:

« الرابع : التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف ، حتى يصير بعضهم يبغض بعضًا ويعاديه ، ويحب بعضًا ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز ، وبعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح ، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض ، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله ﷺ»اهـ .

وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسـبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة ، فقال : دعوني أنا أكفـيكم ، فقـال : يـا ابـن أخي إن لي إليك حاجة ، قال : وما حاجتك يا عم ؟ قـال : أحـب أن ترفـع من إزارك ، فقال : نعم وكرامة ، فرفع إزاره ، فقال لأصحابه : لو أخـذتموه بشدة ، لقال: لا ولا كرامة وشتمكم .

وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بـن محمـد بـن عائشـة ليلة ، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزلـه ، وإذا في طريقـه غـلام من قريش سكران ، وقـد قـبض عـلى امـرأة فجـذبها، فاسـتغاثت فـاجتمع الناس يضربونه ، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه ، فقال للناس : تنحوا عن ابـن أخي ، ثم قال : إلي يا ابن أخي ، فاسـتحى الغـلام ، فجـاء إليـه فضـمه إلى نفسه ، ثم قال له : امض معي ، فمضى معه حتى صـار إلى منزلـه ، فأدخلـه الدار ، وقال لبعض غلمانه : بَيِّتْهُ عندك ، فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان

منه، ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به ، فلما أفاق، ذكر له ما جرى فاستحيا منه ، وبكى ، وهم بالانصراف ، فقال الغلام : قد أمر أن تأتيه ، فأدخله عليه ، فقال له : أما استحييت لنفسك ؟ أما استحييت لشرفك ؟ أما ترى من ولدك؟ فاتق الله، وانزع عما أنت فيه، فبكى الغلام منكسًا رأسه، ثم رفع رأسه ، وقال : عاهدت الله تعالى عهدًا يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه ، وأنا تائب ، فقال : ادن مني ، فقبل رأسه ، وقال : أحسنت يا بني ، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث ، وكان ذلك ببركة رفقه ، ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرًا ، فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون .

وقال الخليفة العباسي المأمون لما وعظه واعظ ، وعنف له في القول ، قال له : يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق ، فقال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

وقيل للإمام العلامة ابن عقيل ، كما في الفنون : أسمع وصية الله عز وجل يقول : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت :٣٤] ، وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقًا ، فكيف لي بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق ؟ فقال : النفاق هو إظهار الجميل ، وإبطال القبيح ، وإضمار الشر ، مع إظهار الخير لإيقاع الشر، والذي تضمنته الآية إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء

الحسن. قال في الآداب : فخرج من هذه الجملة أن النفاق إبطان الشر ، وإظهار الحسن ؛ لإيقاع الشر المضمر ، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر فليس بمنافق،لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت :٣٤]، فهذا اكتساب استمالة ودفع عداوة وإطفاء لنيران الحقائد ، واستنماء الود وإصلاح العقائد . فهذا طلب المودات واكتساب الرجال .

نسأل الله سبحانه أن يمن علينا جميعًا بالإخلاص في القول والعمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه . وصلى الله وسلم على خير خلقه وأفضل رسله وعلى آله وصحبه .

* * *

الفهرس